المحور الرابع: الصناعات والحرف

نحاسيات تلمسان في العهد العثماني (القرنان 12-13هـ/18-19م) من خلال مجموعة المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية -الجزائر-

د.ة/ شريفة طيان ساحد
معهد الآثار- جامعة الجزائر 2

تمهيد

عرفت الجزائر في العهد العثماني جميع أنواع المعادن كالنحاس بأنواعه والقصدير والفضة. وقد أبدع الفنانون في صنع تحفهم وزخرفتها مما جعل الإقبال على شرائها شديدا.

يشير بعض الرحّالة الذين زاروا الجزائر إلى وجود صناعة معدنية نحاسية (متطوّرة) ذات جودة عالية، فقد ذكر PANANTI أثناء إقامته بالجزائر، بأنّ لصناعة النحاسيات شأن كبير. إذ كانت تصنع الصواني والأباريق ذات المقبض والطاسات ومختلف الأواني المنزلية، إلى جانب ما يصنعه القزادرية من صفائح وفوانيس[1]، والصينيات والقدور المصنوعة من مادة الصفر. ويصف بعض الرحالة طريقة و تقنية الصناعة المعدنية، في الجزائر، المتميزة بدون استعمال الصانع للنار وهذا ما يعطي للآنية أو القطعة المعدنية الصلابة والمتانة[2]. وتعتبر هذه التقنية ميزة خاصة بالصناعة المعدنية الجزائرية، تدلّ على التقدّم الكبير وخبرة ودراية الصناع الجزائريين في هذا الميدان[3].

أما بالنسبة لأنواع القطع فيمكن ذكر المباخر، والأباريق، والميضئات، والمرشّات، والصحون، والقناديل الكبيرة، والطاسات الكبيرة، ذات الغطاء،

1- Pananti (F)., Relation d'un séjour à Alger, Paris, 1820, p. 359.

2- Ibid. et Blismon, Notice topographique sur le royaume et la ville d'Alger, Paris, 1830, p. 75.

3- شريفة طيان، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، ج . 1، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007- 2008، ص 83.

والعلب الفضّية المذهّبة، والمموّهة بالمينا. أمّا بالنسبة لأسلوب الزخرفة المنفّذ فهو التطريق الذي اشتهرت به كل مدن الجزائر[1]. كما تذكر بعض المصادر تبادل الهدايا بين الحكّام الجزائريين و السلطان في اسطنبول من جهة أو مع ملوك وحكّام أوربا من جهة ثانية. وهذا ما ساعد على تبادل التأثيرات الفنية بين الجزائر والبلاد الأجنبية في هذا المجال[2].

أما فيما يخص المادة الأولية فقد استعمل نوعان من النحاس في صناعة الأدوات المترلية، يتمثل الأول في النحاس النقي الخالص المعروف بالنحاس الأحمر، والثاني عبارة على نحاس ممزوج بمعادن أخرى و المعروف بالنحاس الأصفر والصفر، إضافة إلى مادة القصدير المستعملة كمادة واقية ضد مفعول أكسدة النحاس المضر في أواني المطبخ والمترل[3].

ومما زاد المشغولات النحاسية تطورا في الجزائر في هذه الفترة، هو وفود الصناع الأندلسيين الذين جلبوا معهم جل الأساليب الفنية التي ازدهرت في بلاد الأندلس مما أدّى إلى تطعيم هذه الصناعة، كما ساهم الحرفيون اليهود بدورهم في تقدّمها حيث برعوا في زخرفة الأواني مثل الصواني والأباريق والمصابيح والصناديق، فكانت هذه الأواني تباع بسهولة و تلقى إقبالا كبيرا من طرف الزبائن[4]. بالإضافة إلى عوائد مداخل البحر المحمّلة بشتى البضائع، ومن بينها الأواني النحاسية المتقنة الصنع و هو الأمر الذي أدّى بالحرفيين الجزائريين إلى التأثر بها فاكتسبوا من خلالها خبرة ودراية واسعتين في هذا الميدان.

لقد كانت مراكز الصناعة عبارة عن حوانيت ضيّقة يشتغل بها عدد من الصنّاع، خصّص لها سوق لبيع منتجاتها و لم يكن هناك حدّ فاصل بين الصنّاع والتجّار إذ كان من الصنّاع من يقوم ببيع منتجاته بنفسه دون اللجوء إلى وسيط[5].

1- Eudel P., L'Orfèvrerie algérienne et tunisienne, Jourdan, Alger, 1902, p. 46.

2- شريفة طيان، « النحاسيات في الجزائر خلال العهد العثماني »، في مجلة آثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ع.8، 2009، ص 204.

3- Allan J. et Raby J., « Le métal», in L'art décoratif ottoman, De Noël, Paris, 1982, p. 33.

4- Gsell St., Les industries d'art indigène en Algérie, Jourdan, Alger, 1903, pp : 8-9.

5- Eudel P., Op. Cit., p.45.

- **الصناعة النحاسية في تلمسان:**

كانت الصناعة النحاسية قائمة ومعروفة في العهد الزياني منذ قيام دولتهم في القرن 7 هـ/ 13م، حيث أنشأوا مصانع لسبك النحاس والمعادن الأخرى[1]، وهذا ما يفند إدّعاء البعض من أن صهر النحاس لم يكن في يوم ما مزدهرا[2]، والشيء المؤكّد حقا هو أن صناعة النحاسيات كانت متداولة في المجتمع وتكفي لتلبّية حاجيات السكان ذاتيا[3].

تعتبر مدينة تلمسان أحد المراكز الهامة للصناعة النحاسية، و قد اختصّت بصناعة الثريات وحوامل المصابيح بالإضافة إلى صنع أشكال أواني مدينتي الجزائر وقسنطينة، غير أن مشغولاتها تختلف عن مثيلتيها في الجزائر و قسنطينة من حيث الموضوعات الزخرفية التي حافظت فيها على الأساليب الزخرفية الأندلسية والمغربية معا[4].

زار حسن الوزان المدينة في سنة 923 هـ/ 1517م، فقال: «...أنّ جميع الصنائع والتجارات بتلمسان موزعة على مختلف الساحات والأزقّة، وينقسم جميع أهل تلمسان إلى أربعة طبقات: الصنّاع والتجّار والطلبة والجنود. فالتجّار أناس منصفون مخلصون جدا وأمناء في تجارتهم يحرصون على أن تكون مدينتهم مزوّدة بالمؤن على أحسن وجه. أهم أسفارهم التجارية إلى بلاد السودان... والصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة ويحبون التمتع بالحياة...، فأينما وجّهت نظرك رأيت التجّار والصنّاع...»[5].

أما مارمول فيقول من جهته عن تلمسان بأنها: «...أخذت تشتهر باستمرار بسبب إقامة ملوك تلمسان فيها واتّخاذها عاصمة لهم نظرا لموقعها

1- Marçais G., L'Art en Algérie, Imprimerie algérienne, Alger, 1906, p. 116.

2- Guiauchain C., El Djazaïr, 2 édit., Imprimerie algérienne, Alger, 1909, p. 123.

3- Eudel P., Op. Cit., p. 189.

4- شريفة طيان. " النحاسيات..." ص 207.

5- حسن الوزان. وصف إفريقيا. (ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر). ج. 1. ط. 2. دار الغرب الإسلامي. 1983. ص 19- 21.

الحسن في سهل جميل. وقد نظّمت ساحاتها وأزقّتها على نسق جميل ودكاكين صنّاعها وتجّارها مرتّبة على غرار ما هو بفاس...أضف إلى هذا فنادق عديدة على طراز البلاد يقيم في أهمّها التجّار الحاصلين على جواز الاتجار...»[1].

وتحدّث كذلك عن سكانها وأهلها بقوله: «...السكان منقسمون إلى ثلاث طوائف: طائفة التجّار وطائفة الصنّاع وطائفة النبلاء التي تضم الصنّاع والمحاربين: الأوّلون أناس طيّبون، أوفياء في تجارتهم معتزّون بنظام الحضارة وحسن التدبير، مهذّبون مع الأجانب. وأهم تجارتهم في غينيا، حيث يحملون بضائعهم كل سنة...، والصنّاع أناس بسطاء لطفاء يعتزّون بأنهم يعملون بأدب ويصنعون أشياء متقنة، يعملون هناك قمصان وزرابي فاخرة ومعاطف صغيرة وكبيرة رفيعة جدا حتى أنه يوجد ما لا يزن عشر أواق[2]، فضلا عن طقوم فاخرة للخيل مع دكابات جميلة ولجم ومهاميز، وأجود ما يصنع من رؤوس اللجم في إفريقيا»[3].

واستنادا إلى رأي بعض المؤلّفين، فان مدينة تلمسان أصبحت في عهد أبي تاشفين[4] من العظمة بمكان، حتى أنها كانت تضم ستة عشرة ألف دار مسكونة وتقام فيها أغنى تجارة بإفريقيا[5]، كما وصفها آخرون ومن بينهم العبدري بقوله: «... وتلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر مقسومة باثنتين بينهما سور ولها جامع مليح متّسع ولها أسواق قائمة وأهلها ذوو ليانة لابأس بأخلاقهم...»[6].

لكن المدينة ما لبثت أن تدهورت اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا مما أدّى إلى هجرة العائلات الغنية والعلمية إلى المغرب الأقصى فرارا من التدخّل الاسباني ولا سيما عند دخول العثمانيين بالقوّة إلى تلمسان، وبذلك فقدت المدينة عددا من أعيان سكّانها ذوي النفوذ الاجتماعي والتأثير العلمي، وظلّت تحت

1- كربخال مارول، إفريقيا، ترجمة محمد حجي و آخرون، ج2، الرباط، 1989، ص 298.
2- أوقية: وزن فرنسي قديم يساوي 30,594 غرام.
3- كربخال مارول، المصدر السابق، ص 300.
4- أبو تاشفين الأول : حكم تلمسان سنة 718ه / 1318م ، نافس الحفصيين و المرينيين في العلم و الأدب، و كان محبا للعلوم و الفنون و مهتما بالحركة الاقتصادية و الثقافية.
5- كربخال مارول، المصدر السابق، ص 302.
6- العبدري، الرحلة المغربية،(تحقيق: أحمد بن جدو)، مطبعة البعث، قسنطينة، (د. ت)، ص 9.

الحكم العثماني مدينة مهزومة فقدت كثيرا من سمعتها و قيمتها، ويرجع السبب في ذلك إلى الاحتلال الاسباني لمدينة وهران الذي أثر سلبا عليها فأدّى إلى تدهور نشاطها اقتصاديا وانعكس سلبا على سياستها في القرن 10 هـ/ 16 م[1].

واستقرت الأوضاع نسبيا فأثرت في الميدانين الاجتماعي والاقتصادي في عهد محمد عثمان باشا[2] ومحمد باي الكبير[3]، فنشطت الصناعة وحذق الصنّاع النسيج والدباغة والنحاس والأسلحة كالسيوف والبنادق. وقد شاركهم في هذا الازدهار الأندلسيون النازحون إثر الاضطهاد الاسباني المسيحي فاندمجوا في المجتمع، ونتج عن التزاوج التلمساني الأندلسي عنصرا يسمى باسم الحضر. فكان منهم العلماء والأدباء والفنّانون والفلاحون والصنّاع والتجّار وكانت الأسواق عامرة. كما نتج عن زواج الأتراك بالتلمسانيات عنصرا جديدا عرف باسم الكراغلة كما حدث تماما بمدينتي الجزائر وقسنطينة، وقد عاش الكراغلة غرباء فترة من الزمن ثم اندمجوا في مجموع السكّان، نابذين مركّب التفوّق الذي طالما تشبّثوا به لكونهم من السلالة التي تحكم البلاد[4]. كما أقام في تلمسان اليهود الذين كان لهم حي خاص بهم، سكنوا المدينة هروبا من بطش الأسبان قبل الوجود العثماني، وأخذوا يمارسون التجارة والصناعة في اطمئنان[5]، وكانت صناعة الحلي أبرز اختصاصاتهم يمارسونها ويبيعونها[6]. وقد وصل عدد اليهود بالمدينة في القرن 11 هـ/ 17م، حوالي ثلاثة آلاف يهودي[7].

وخلاصة القول أن مدينة تلمسان كباقي المدن الجزائرية (الجزائر وقسنطينة) سكنها الأتراك العثمانيون الذين يمثّلون الطبقة الحاكمة انضمّ إليهم الكراغلة

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، الجزائر، 1980، ص 171.

2- محمد عثمان باشا: تولى منصب الداي سنة 1206 ه/ 1791 م، كان يلقب بالحاكم المصلح و الداي المجاهد، دام حكمه زهاء ربع قرن.

3- محمد باي الكبير: هو محمد بن عثمان بن إبراهيم باي وهران، لقب بمحمد الكبير بعد فتح وهران و هو باي معسكر من 1193ه/ 1779 إلى 1211 ه/ 1796 م، حارب الأسبان إلى أن أخرجهم من وهران و جعل منها مقره حتى 1207ه/ 1792 م و بقي على رأس بايلك الغرب إلى 1214ه/ 1799م.

4- محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 238.

5- محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 218.

6- حسن الوزان، المصدر السابق، ص 21.

7- Davity P. - Description générale de l'Afrique, Paris, 1660.pp : 170-171.

والانكشاريون و الحضر و الأندلسيون و اليهود والزواوة، وكانت هذه الفئة الأخيرة تمثل اليد العاملة، وعموما فقد اتّصف سكّان المدينة بالطيبة والتحضّر[1].

وفي المجال الصناعي، شملت تلمسان في أوائل العهد العثماني أكثر من خمس مائة حرفة لصناعة النسيج التي عرفوا بها و الجلد والحديد والخشب، وكثر الصنّاع بها خاصة صنّاع الصباغة و الحدادة، كما وصل عدد الدكاكين في مدينة تلمسان إلى ثلاثة آلاف دكّان داخل أزقة و شوارع عريضة و واسعة، ويظهر فيها التجّار بهيئة جيّدة وبملابس نظيفة[2]. وبالمدينة عشرة أسواق مجاورة للدكاكين.[3] تميّزت الصناعة بالتنوّع، والتعدّد لسمعة تلمسان الكبيرة في هذا المجال، فرغم تدهور البعض منها الناتج عن الحالة السياسية التي كانت سائدة إلا أنها استطاعت أن تحافظ على تقاليدها الأندلسية المغربية مع وجود بعض اللمسات العثمانية (شكل رقم: 1).

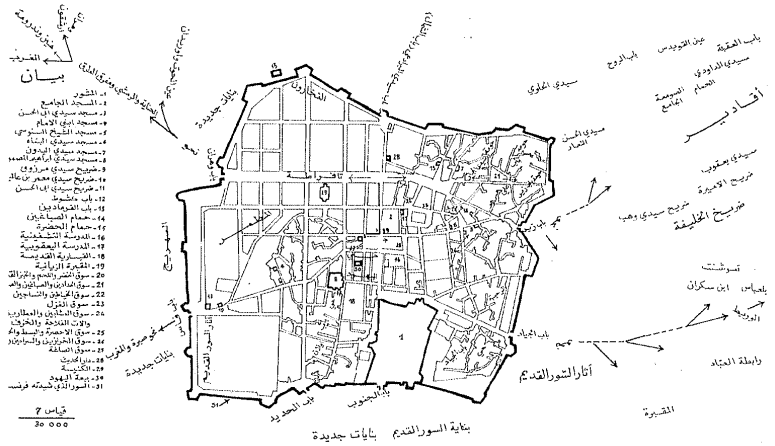

شكل رقم: 1 – توزيع أسواق مدينة تلمسان. عن: (محمد بن عمرو الطمار)

1- Dapper O., Description de l'Afrique, Amsterdam, 1685O, p. 60.

2- Sanson N., L'Afrique, Paris, 1656, p. 2.

3- Dapper O., Op. Cit., p. 160.

- **تقنيات الصناعة النحاسية**

استعمل الصانع الجزائري في العهد العثماني معظم التقنيات الصناعية المعروفة في تشكيل المعادن وزخرفتها، وإن كان من الملاحظ اهتمامه بأساليب معينة دون غيرها.

ففي مجال تشكيل المعادن استخدم بكثرة تقنية الطرق وما يرتبط بها من عمليات أخرى فرعية، إلى جانب استخدام تقنيات التدوير والصب في القوالب والتدسير وعمليتي القصدرة والتذهيب.

– **الطرق:** تستعمل هذه التقنية في التحف المصنوعة من النحاس و الفضة والذهب لأن هذه المعادن يسهل طرقها وتشكيلها بالضرب عليها بواسطة مطرقة إذ يكون المعدن باردا أو محمرا قليلا[1]. وبهذه التقنية يتحصّل الصانع على أشكال متكوّنة من عدّة قطع مجمّعة وملتحمة بتقنية الطرق، تستعمل هذه التقنية لصناعة قطع الصفائح كالصواني والأطباق والأكواب والأغطية[2]، وتتطلّب هذه التقنية ثلاثة أساليب:

أسلوب التقبيب :يجرى هذا الأسلوب على سطح المعدن، وهو يساعد على تمديد المعدن وانبساطه، ويجعله قليل السمك. توضع صفيحة النحاس المراد تشكيلها على قضيب الحديدة، وبشكل دائري يحاول الصانع تقبيبها بدءا من الأعلى. يستعمل هذا الأسلوب في صناعة أغطية الأواني الكبيرة والصغيرة الحجم على اختلاف أنواعها.

أسلوب التعميق: يعتبر هذا الأسلوب ضروريا، حيث يتم الطرق على السطح الداخلي للآنية، يستعمل هذا الأسلوب في صناعة الأواني القليلة العمق كأطباق خاصة بالكسكسى والطاسات والمسمنات، ويستعين الصانع في ذلك بصفيحة واحدة دون إضافات، يتم انجاز هذه الأواني باستعمال أداة القرطة الحاوية على

2- Eudel P., Op. Cit., p. 189.

2- Arseven C E., Les arts décoratifs turcs, Milli Egitim Basimevi, Istanbul, S. D, p. 120.

حفر تشبه القوالب، و هذه الأخيرة التي تعمّق فيها التحف تتماشى حسب التحف والتشكيلات المطلوبة، علما أن الصانع يستخدم مسامير عادية على هذا القالب لتحفظ استواء الحافة أثناء عملية التعميق[1].

أسلوب الجمع :تم هذا الأسلوب في حواف السطح الخارجي للمعدن، يتم هذا الأسلوب بالضرب بالدقماق على الشكل الموضوع على السندان، ومعظم أساليب الجمع تتم على حافة السندان[2].

في حالة الأواني القليلة العمق، يلجأ الصانع غالبا إلى تشفيرها ليبرز حدودها النهائية، توضّح هذه الحدود للآنية بإلقاء ضربات عليها ليتمكّن من طيّها، مستعينا بأداة القرطة حيث توضع الحدود النهائية لها قرب القالب فيشرع في طيّها نحو الداخل باستعمال المطرقة[3].

– **التدوير**: ترتكز هذه التقنية على إعطاء الشكل المرغوب فيه لكتلة معدنية وذلك بالقيام بحركة دوران عليها بواسطة مخرطة التي تسمى كذلك دورة، تنزع الأجزاء الزائدة بواسطة أدوات قاطعة وعند الانتهاء من العملية تزخرف القطعة بقص الكتل بواسطة أزاميل، تعطي هذه التقنية أشكالا عديدة ومتنوّعة كالشمعدانات والمصابيح و المباخر[4].

– **الصب** (شكل رقم: 2): كانت هذه التقنية تستخدم بصورة كبيرة في معدن البرونز، الذي يتميّز بسهولة صهره و تشكيله في قالب مكوّن من جزأين حسب الشكل المراد تشكيله، وينقش من الداخل بزخارف محفورة لاستخراج زخارف بارزة والعكس صحيح. وعادة ما يزوّد القالب من الأعلى بثقب مستدير نافذ بقناة إلى داخل القالب لصب المعدن المنصهر من داخل القالب، ثم يترك ليبرد ليأخذ السطح الملامس للقالب الأشكال الزخرفية المحفورة عليه[5]، كما ترتكز

1- محمد أحمد زهران. فنون أشغال المعادن و التحف القاهرة. 1965. ص 106.
2- نفسه.
3- شريفة طيان. الفنون التطبيقية... . ص 107.
4- Arseven C E., Op. Cit., p.129.
5- أحمد الطايش. الفنون الزخرفية الإسلامية المبكّرة. القاهرة. 2000. ص 55.

هذه التقنية على صب المعدن المنصهر في قالب من الحجر أو الرمل، يحمل الشكل والزخارف المراد الحصول عليها. تتطلّب هذه التقنية طريقتين للتنفيذ و هما:

– تتمثّل الطريقة الأولى في عملية التذويب بالرمل والطين حيث تكون القوالب مهيّأة سواء كانت مملوءة أو مفرّغة حسب الشكل، فإذا كان باطن هذه الأخيرة مملوء يترك باطن القالب فارغا، وإذا كان باطن التحفة فارغا يكون التلبيس مزوّدا بالنواة ذات شكل مماثل لشكل القالب الداخلي، ولكن بحجم أصغر ليبقى ملائم بين التلبيس والنواة وهو المخصّص لصب المعدن[1].

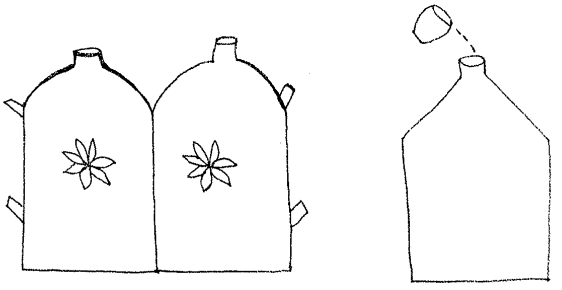

شكل رقم2 : تقنية الصب

عن شريفة طيان! الفنون التطبيقية...ج(1).

– أما الطريقة الثانية فتعتمد على التذويب بالشمع ويتم ذلك بحفر قالب مفرّغ، يشكّل غشاؤه الداخلي عكس التحفة المراد صبّها ثم يوضع الشمع على هذا الغشاء، وذلك بسمك يساوي سمك التحفة، ثم يوضع القالب تحت تأثير الحرارة فيحرق الشمع ويزول كليّة فيتولّد فراغ بين النواة والقالب فيملأ عندئذ هذا الفراغ بالمعدن المنصهر بعد أن يبرد، وفي كثير من الأحوال تخرج المشغولات المصبوبة من القالب مشوّهة قليلا على الزخارف، ويتم إزالة ذلك بواسطة النقش2. وتستعمل هذه التقنية لتشكيل عناصر حيوانية أو نباتية صغيرة تضاف عادة للآنية لتتوّج الغطاء أو تتدلّى عليه.

1- محمد أحمد زهران. المرجع السابق. ص -208 209.

2- Arseven C E., Op. Cit., p. 128.

- **التلحيم** (شكل رقم: 3): هي إحدى الوسائل لوصل القطع المعدنية بعضها ببعض، و تتم هذه التقنية باستعمال طريقة النقر واللسان، وذلك بإيصال قطعة معدنية إلى الإناء، فيحدث نقرا في الأول ولسانا في الثاني ويصلهما بالبعض بعملية الطرق إلى أن تلتحم ثم يضغط بطريقة قوية مستعملا مادة البوراكس على شكل معجون[1]، وهناك طريقة أخرى لتلحيم القطعة وذلك باستعمال خليط من الزنك والنحاس بنسب متساوية بعد تحويلها إلى مسحوق، يرش به على خط تلحيم القطعة الموضوعة على النار، وبفعل النار يذوب المسحوق ويلتصق على سطح النقر واللسان، عندها يجذب من النار وينتظر إلى أن يبرد ويطرق عليه بمطرقة لتوحيد سطح القطعة بحيث لا يمكن تمييز مادة اللحام إلا بصعوبة كبيرة[2].

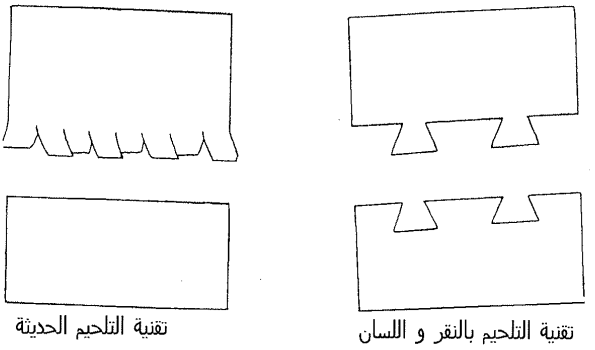

شكل رقم: 3- تقنية التلحيم
عن: (Ayachi T.)

- **التدسير** (شكل رقم: 4): تعرف هذه التقنية كذلك باسم البرشمة أو الدسر، وقصد بها تثبيت قطع إضافية لآنية ما كالمقابض ولصنابير وغيرها، وذلك باستعمال مسمار مثني مصنوع من فضلات مادة النحاس المستعملة خلال صناعة الآنية، وتتم العملية بتقطيع معيّنات مختلفة المقاسات حسب حجم وشكل الإناء المراد إضافة له قطعة ما. يشكل هذا المسمار بوضعه في قالب مسمار به سلسلة من

1- البوراكس: هو محلول مائي مزوّد بالصوديوم.

2- Ayachi T., « L'artisanat du cuivre en Tunisie ». In Revue du centre des arts et traditions populaires, n°1, Tunis, 1968, pp : 169 -170.

الثقب بأقطار متعددة تتماشى وقطر المسمار، وبواسطة مطرقة يطرق الصانع بضربات على الجهة الواسعة للمسمار حتى يختفي داخل الثقب، ثم يتمدّد الجزء العلوي من المسمار على سطح القالب ويصبح صالحا للاستعمال. بعد انجاز المسمار يحدث الصانع ثقبتين في حافتي القطعة المراد إضافتها ويغرز مخرزا في الإناء ليحدث ثقبا آخر، عندها يدخل الصانع المسمار بواسطة المطرقة ويطرق في طرفيه حتى يسحق ويتسطّح في جانبيه حتى لا يبقى فراغا بين القطعتين[1].

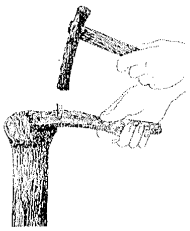

شكل رقم: 4- تقنية التدسير
عن: (Ayachi T.)

القصدرة: هي تقنية يقوم بها صانع مختص في المادة يسمى بالقزادري، تتم هذه التقنية خاصة في تغطية أواني الأكل بطبقة من مادة القصدير حيث تعمل على منع تشكيل الجراثيم وتحول دون تفتيت النحاس لأن النحاس يتأكسد عند استعماله بكثرة فوق النار أو بالماء[2].

1- Ayachi T., Op. Cit. , p. 171.

2- شريفة طبان، الفنون التطبيقية... ج.1، ص 115.

يتّبع الصانع خطوات عديدة تتمثّل في صب محلول مكوّن من حامض الكبريت وقطع من الزنك في وعاء من الرصاص، ويغطس قطعة قماش داخل هذا المحلول ويمسح المساحة المراد تبييضها، بعدها توضع الآنية في فرن الحدادة، ثم ترش بحامض الأمونياك، الذي ينظّف سطح النحاس ويمكّن القصدير الذائب من الالتصاق بطبقة رقيقة على القطعة، عندها يقوم الصانع بتذويب الكمية اللازمة من القصدير، ويضعها داخل الآنية وبواسطة قطعة قطنية يقوم ببسط القصدير وتمديده على أجزاء الآنية بحركة سريعة وهي آخر مرحلة، فيضفي عليها طبقة رقيقة من هذه المادة على التحفة، أما إذا كانت القطعة كبيرة الحجم كالصينية مثلا، فإن القصدير يذوّب في حوض كبير ثم تغطس القطعة النحاسية داخله ثم يخرجها و يتركها لتجف[1].

التذهيب: التذهيب هو عبارة عن ترسّب طبقات غلافية متناهية الرقة من الذهب، ونظرا لارتفاع ثمنه فقد حدّد مجال استعماله، وتعتبر التغطية بالطلاء الذهبي من عمليات التذهيب[2]. وتقنية التذهيب هي التقنية الأكثر استعمالا في المعادن العثمانية، خاصة الفضة التي تعتبر المعدن الأكثر قابلية لهذه التقنية إضافة للنحاس[3]، ومما تجدر الإشارة إليه أن عملية التذهيب قليلة الثبات في المعادن الأخرى إلا في حالة تذهيب النحاس بواسطة النار[4].

- **أنواع الأواني النحاسية التلمسانية**

يحتوي المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالجزائر العاصمة على مجموعة أواني نحاسية من مدينة تلمسان تعود إلى القرن الثالث عشر الهجري / القرن التاسع عشر الميلادي، وقطع أخرى مؤرخة بالقرن العشرين، ومجمل هذه القطع عبارة على قدور بمختلف الأحجام والأعماق و طنجرات ودلاء (بما فيها

1- Amari Dj., Aspects de l'artisanat, du commerce et de l'industrie à Constantine, D.E.A., Constantine, 1976, pp: 73 -74.

2- محمد أحمد زهران، المرجع السابق، ص 103.

3- Allan J. Raby J., «Le métal», in L'art décoratif ottoman, De Noël, Paris, 1982, p. 70.

4- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في اسبانيا، (ترجمة، لطفي عبد البديع و محمود عبد العزيز سالم) . القاهرة، 1968، ص 401.

الدلو والمحبس) وأباريق قهوة وجرار وصواني، تتميز هذه الأواني بمواضيعها الزخرفية المستمدة من الفن المغربي الأندلسي الأصيل المنفذة بأسلوب الرقش العربي ممزوجة أحيانا بالزخرفة العثمانية كما سيتضح ذلك فيما بعد.

القدور (صورة رقم: 1)

مفردها قدر و هي أواني خاصة بغلي الماء و طهي الأطعمة تعرف في مدينة الجزائر باسم قازان[1]، مصنوعة من النحاس الأحمر ومغطاة بطبقة من القصدير وهي ثقيلة الوزن، تشبه إلى حد كبير المحبس المستعمل في الحمام، أحجامها متقاربة وهذا لكونها تقوم بنفس الوظيفة.

يتكون القدر من قاعدة مقعّرة ومن بدن منتفخ في معظم الأحيان، يحوي على مقبضين و ينتهي بفوهة تكون إما ضيّقة أو واسعة حسب وظيفتها، يستعمل هذا النوع من القدور في غالب الأحيان لطهي المأكولات اللذيذة كالمربى مثلا. يزخرف القدر بأشرطة عريضة تحتوي على أشكال هندسية و نباتية منفّذة بالحز والنقش والتطريق، وأحيانا تكون خالية من الزخرفة[2]، ويندمج ضمن القدور أنواع أخرى خاصة بطهي الكسكس تتكون من قدر وكسكاس، وهذا الأخير عبارة عن إناء على شكل مخروط مقلوب، ضيّق في قاعدته الأسطوانية لكي تندرج في فتحة القدر وتضم إليه حتى لا يتسرّب البخار، علما أنه يحتوي على ثقوب في قاعدته، كما يحتوي على مقبضين جانبيين متقابلين ملتصقين بالإناء بواسطة دسر[3].

صورة رقم:1 – قدر من النحاس الأحمر
مزخرف بأشرطة نباتية وهندسية

1- Ben Cheneb M., Mots turks et persans conservés dans le parler algérien, S.L. 1922, p. 59.
2- شريفة طيان، الفنون التطبيقية...ج.1، ص 133.
3- نفسه، ج.2، ص 524.

الطنجرة (صورة رقم: 2)

هي إناء خاص بالطبخ والطهي كذلك مصنوعة من النحاس ومغطاة بطبقة من القصدير، قليلة الارتفاع مقارنة بالقدر فوهاتها متسعة تماشيا ووظيفتها الخاصة، يحتوي جانباها على مقبضين عريضين ثابتين ومتعامدين (عروتين) متصلين بالبدن بتقنية التدسير، تزخرف الطنجرة بأشرطة عريضة تتخللها زخارف نباتية وهندسية وأحيانا تكون خالية من الزخرفة.

صورة رقم: 2 – طنجرة من النحاس الأحمر
بمقبضين مزخرفة بأشكال نباتية و هندسية

الأطباق (صورة رقم: 3)

مفردها طبق وهو إناء عميق خاص بالأكل وتقديمه ويستخدم خاصة في حفظ وتقديم الكسكسى يعرف في الجزائر باسم تبسي عشاوات، يتكون من جزأين: صحن دائري الشكل عموما وغطاء يتماشى وشكل الصحن، يعلو الغطاء زر ماسك يأخذ شكل الصحن والغطاء على السواء، وبالنسبة للأطباق التلمسانية فهي ذات ميزة خاصة بحيث يكون الصحن أسطواني الشكل ذو حافة ملساء، قاعدته دائرية مسطحة وملساء، وبالنسبة للغطاء فهو طويل ومخروطي الشكل متوج بزر ماسك مغزلي الشكل، وغالبا ما يزخرف الطبق بزخرفة نباتية بأسلوبي النقش والحز.

صورة رقم: 3 – طبق وغطاء من النحاس الأصفر[1]
(عن : المتحف الوطني الباردو)

الدلاء (صورة رقم: 4)

مفردها دلو وهو إناء عميق يحوي على مقبض يعلو الفوهة، يستعمل لغلي الماء وحمله من مكان إلى آخر، ويندرج ضمن الدلاء المحبس المعروف في الجزائر، يستعمل في غالب الأحيان في الحمام لحفظ الماء، وهو بأحجام وأعماق مختلفة، يحتوي على قاعدة وفوهة متسعتين ليتمكن مستعمله من إدخال الطاسة بسهولة لملء الماء[2].

صورة رقم: 4– دلو بمقبض من النحاس الأحمر

1- طبق من النحاس من مجموعة خاصة (ملك للسيد صادق مسبيخ) عرضت في المتحف الوطني -الباردو- في 12 أفريل 2009، بمناسبة شهر التراث. (مقاساته: قاعدة القطر: 21سم، قطر الفوهة: 22سم، الارتفاع :34سم)

2- شريفة طيان، الفنون التطبيقية...ج.1، ص 63.

أباريق القهوة

تعرف باسم البقراج المتداول كذلك في مصر وبلاد المغرب[1]، يصنع من الفضة أو النحاس ويطلى بطبقة من القصدير، ذو بدن عريض وصنبور صغير في العنق، وغطاء على شكل قبة مسجد، كما تتنوع أشكال وأحجام الأباريق، فمنها الكبير والصغير بأبدان ومقابض وصنابير مختلفة[2]، أما بالنسبة لمدينة تلمسان حسب المجموعة المتحفية فقد تميزت الأباريق بقواعد مسطحة وأبدان أسطوانية الشكل تنتهي بحافة بارزة يثبت عليها أغطية على شكل نصف قبة يعلوها زر ماسك كروي الشكل في غالب الأحيان، يثبت في جانبي الإناء مقبض كمثري الشكل وصنبور طويل، وغالبا ما يزخرف الإبريق بزخارف نباتية وهندسية منفذة بأسلوب عثماني بحت.

الجرار (صورة رقم: 5)

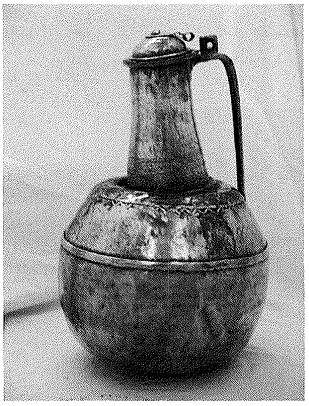

الجرار هي عبارة عن أوعية خاصة بالماء تصنع من النحاس الأحمر مختلفة الأحجام والأشكال، أبدانها في غالب الأحيان ناقوسية الشكل أو كروية منتفخة، ترتكز على قاعدة أو بدونها، لها مقبض يتماشى وشكل الجرة، يعلو البدن عنق وغطاء مختلف الأشكال، وغالبا ما تكون هذه الجرار خالية من الزخرفة أو بزخارف بسيطة[3].

صورة رقم: 5 – جرة ماء من النحاس الأحمر كروية البدن (القرن12هـ/18م)
عن : (شريفة طيان، الفنون التطبيقية...ج.1)

1- Desmet Gregoire H., Les objets du café, Presses du CNRS, Paris, 1989, p. 53.
2- شريفة طيان، الفنون التطبيقية...ج.1، ص 137.
3- شريفة طيان، الفنون التطبيقية... ج.1، ص 138.

الصواني

تعتبر الصواني أهم التحف النحاسية التي يضمها أثاث البيت الجزائري شكلها دائري توضع على قواعد أو قوائم خشبية، يكسبها الفقير والغني على السواء لأن غرضها وظيفي أكثر منه زخرفي. تصنع من صفائح عريضة من النحاس الأحمر المطروق وعادة ما تغطى بطبقة من مادة القصدير ككل الأواني النحاسية الجزائرية، تنتهي هذه الصواني بحافة مرتفعة غالبا ما تكون مفصّصة، وهي ميزة اختصّت بها الصناعة الجزائرية. ويوضع على هذه الصواني كل أنواع المأكولات فيما عدا القهوة التي لها صينيتها الخاصة التي تكون أقل حجما تعرف باسم سنيوة تصغيرا للصيني[1].

يملك المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية صواني من تلمسان مؤرخة بالقرن العشرين وبالتالي يتعذر علينا الحديث عن مميزاتها فيما عدا مواضيعها الزخرفية المنبثقة من الرقش العربي المغربي والمختلفة عن الصواني الجزائرية والقسنطينية المتأثرة بالزخرفة العثمانية لكن بأسلوب جزائري.

بطاقة فنية نموذجية

رقم الجرد: 05- 119- 97
اسم القطعة: قدر وكسكاس
الاسم المحلي: قدر وكسكاس
المادة: نحاس أحمر
المقاسات: ارتفاع: 64 سم، قطر: 40 سم.
البلد: مدينة تلمسان
التاريخ: 13 هـ/ 19م
تقنية الزخرفة: النقش- الحز
الوظيفة: لطهي الكسكسى
حالة الحفظ: حسنة

1- شريفة طيان، الفنون التطبيقية...ج.1، ص 56.

الوصف:

آنيتان مكوّنتان من قدر وكسكاس، شكل القدر مخروطي مزوّد بمقبضين جانبيين وضعا على طول القدر وثبتا بواسطة دسر، فصل القدر في مستوى المقبضين بجزء منفصل يحتوي على ماسكات مقلوبة. أما بالنسبة للكسكاس فهو إناء على شكل مخروط مقلوب، ضيّق في قاعدته الأسطوانية لكي تندرج في فتحة القدر وتضم إليه حتى لا يتسرّب البخار، علما أن هذا الكسكاس يحتوي على ثقوب في قاعدته، كما يحتوي على مقبضين جانبيين متقابلين ملتصقين بالإناء بواسطة دسر.

زخرف بدن القدر فيما عدا جزء صغير قريب من القاعدة (لقربه ربما من النار عند الطهي)، بزخارف نباتية عبارة عن تشبيكات والتواءات مكوّنة أشكال جامات ملتصقة فيما بينها، تتوسّطها أشكال زهرية لملء الفراغ بأسلوب الرقش العربي، أما بالنسبة للجزء الذي يعلو القدر فزيّن وسطه بشريط نباتي قوامه التواءات و تشبك فروع نباتية ومراوح نخيلية بسيطة ومزدوجة و مركّبة.

أما الكسكاس فيتوسطه شريط عريض من الأشكال النباتية قوامها التواءات وتشبيكات متناسقة عبارة عن مراوح نخيلية منفّذة بأسلوب الرومي على الطريقة المغربية، وقد أحيط الشريط بشريطين زخرفيين قوامهما أشكال هندسية عبارة عن معينات ملتصقة فيما بينها أعطت شكلا متعرّجا[1].

قدر وكسكاس مخروطي الشكل

1-شريفة طيان. الفنون التطبيقية... ج. 2. ص 524.

قائمة المصادر و المراجع:

بالعربية:

- زهران محمد أحمد، فنون أشغال المعادن والتحف القاهرة، 1965.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،ج.1، الجزائر، 1980.
- الطايش أحمد، الفنون الزخرفيـــة الإسلامية المبكّرة، القاهرة، 2000.
- الطمار محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- طيان شريفة، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، ج.1 - 2، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007 - 2008.
- طيان شريفة، "النحاسيات في الجزائر خلال العهد العثماني"، في مجلة آثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ع.8. 2009، ص 210-197.
- العبدري، الرحلة المغربية، (تحقيق: أحمد بن جدو)، مطبعة البعث، قسنطينة، (د. ت).
- مارول كربخال ، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج.2، الرباط، 1989.
- مورينو مانويل جوميث ، الفن الإسلامي في اسبانيا، (ترجمة، لطفي عبد البديع ومحمود عبد العزيز سالم)، القاهرة، 1968.
- الوزان حسن، وصف إفريقيا، (ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر)، ج. 1، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، 1983.

بالأجنبية:

- Allan J. et Raby J., «Le métal», in L'art décoratif ottoman, De Noël, Paris, .1982
- Amari Dj., Aspects de l'artisanat, du commerce et de l'industrie à Constantine, D.E.A., Constantine, 1976, pp: 73 -74
- Arseven C E., Les arts décoratifs turcs, Milli Egitim Basimevi, Istanbul, S.
- Ayachi T., « L'artisanat du cuivre en Tunisie ». In Revue du centre des arts et traditions populaires, n°1, Tunis, 1968, pp :169 -170.
- Ben Cheneb M., Mots turks et persans conservés dans le parler algérien, S.L. 1922.
- Blismon, Notice topographique sur le royaume et la ville d'Alger, Paris, 1830.
- Dapper O., Description de l'Afrique, Amsterdam, 1685.
- Davity P., Description générale de l'Afrique, Paris, 1660.
- Desmet Gregoire H., Les objets du café, Presses du CNRS, Paris, 1989.
- Eudel P., L'Orfèvrerie algérienne et tunisienne, Jourdan, Alger, 1902.
- Gsell St., Les industries d'art indigène en Algérie, Jourdan, Alger, 1903.
- Guiauchain C., El Djazaïr, 2 édit., Imprimerie algérienne, Alger, 1909.
- Marçais G., L'Art en Algérie, Imprimerie algérienne, Alger, 1906.
- Pananti F., Relation d'un séjour à Alger, Paris, 1820.
- Sanson N., L'Afrique, Paris, 1656.

==00==